الوصية

. عامر الدبك .

قالت وقد عَلِمَتْ
بأنّي سوف أُحْيي مهرجانًا
مِنْ كلامْ:
كن هادئًا
ومهادنًا
ومسالمًا
وَدَعِ السياسةَ للسياسة
والبلادَ لمن أرادْ.
دعْ عنك أخبارَ الحروب
وما تلاها من هزائم
أو مذابح للعبادْ.
قلْ إنّما للبيتِ ربّ،
وانسحبْ مثلَ الفراغ من الفراغ،
وانثرْ على عينيك بعضًا من رمادْ،
ولا تقل ـ حتى ولو في السرّ ـ
«حَيَّ على الجهادْ!»
كنْ طائعًا
كنْ قانعًا
كنْ خانعًا
كنْ مثلَ قطٍّ أحول
حتى ترى نصفَ الحقيقة.
لا تناقشْ،
لا تحاورْ،
لا تقل «أعداؤنا يتربّصون
وأهلُنا يتآمرون»
ولا تلُم أحداً على شيءٍ مضى
كي لا تلامْ.
لا تكن متسرعًا
واعقلْ لسانَكَ وابتسمْ،
فلعلهم
يَرْضُون عنك بالابتسامْ.
وَادْعُ لكلّ القائمين
بأن يظلّوا سالمين،
وأن ينالوا ـ
بعد طولِ العمر ـ حسنًا في الختامْ.
ولا تقل
«مات السلامْ»
قلْ كلّما قالوا: سلام
«يا سلام ويا سلامْ!»

❖ ❖

كن أخرسًا
وَدَعِ الشهامةَ
والرجولةَ
والحديثَ عن الشهادة
والتحرّر
والوطن،
وانْسَ بأنّكَ من سلالاتِ البشر
وارقصْ إذا رقص الجميع
ولا تقل شيئًا عن التاريخ
أو عن مراراتِ الزمنْ.
كن طيِّعًا مثلَ العجينة
لا تقل «لا»
حتى ولو كنتَ الوحيد
بلا رقيبٍ في الظلامْ.
كنْ مثلَ كلِّ النائمين
الآمنين،
الحالمين،
الصامتين،
الحاضرين،
الغائبين.
لا ترفع الصوتَ الحزين؛
فأَنْكَرُ الأصواتِ في الشرع الجديد
هو الكلامْ.
ولا تفكّرْ بالوراء وبالأمامْ،
ولا تفكّرْ بالحلال وبالحرامْ،
بل قلْ إذا ما واجهتْكَ مصيبة
وعجزتَ عن حلٍ لها
وعجزتَ عن فهمٍ لها
وشعرتَ أنّك لا تَنامْ،
قلْ: «يا سلام ويا سلامْ!»

❖ ❖

ووعدتُها أنّي سأقرأ
ما كتبتُ من القصائد
في الغزلْ،
وبأنّ لا همًّا لديّ
سوى التواصلِ والقُبَلْ،
ولسوف أنسى كلَّ أخبار المجازر
في فلسطين الحزينة والعراق،
ولسوف أنسى ما يطاق ولا يطاق،
ولسوف أنسى
قمةَ العرب الخجولة
والمثيرةَ للخجلْ،
ولسوف أضحك مثلَ كلِّ الضاحكين،
ولسوف أُعلن أنّني مثل البساطة
لا أميل إلى الجدلْ.
حتى ولو أُحرجتُ سوف أقول
«إنّي متعب ولديّ آلافُ العللْ.»
وكتمتُ ما في القلب من همٍّ كبير
ونسيتُ ـ أو أنّي
تناسيتُ ـ الأمور
ووقفتُ قدّامَ الجميع.
جطّت على روحي غماماتُ الأسى
وشعرتُ أنّ الجمر
في دمي اشتعلْ،
فرميتُ أوراقي جميعًا
وانسحبتُ من الكلامْ.
قال الجميع بدهشة:
«أنقذْتنا بالصمتِ من هذا المللْ.»
صفّقتُ.
قالوا:
«يا سلام ويا سلامْ!»

حلب

رواية

جان أشينوز

شقراوات

ترجمة بسام حجّار

دار الآداب

جان اشينوز، من مواليد أورانج (فرنسا) عام ١٩٤٧.

من أعماله: شيروكي والحملة الماليزية، بحيرة، نحن الثلاثة، إنّي ذاهب **(الصادرة عن دار الآداب أيضًا وحازت جائزة «غونكور» أبرز الجوائز الأدبيّة الفرنسيّة).**